السياق فيضمر ثقة بفهم السامع نحو كل من عليها فان وقد يعود على لفظ
المذكور دون معناه نحو وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره وقد يعود على المعنى نحو
فان كانتا اثنتين فان المعنى وان كان يورث اثنتين فمن يرث مفرد ونحو
نظرا الى الخبر وقد يعود على لفظ شيء والمراد الجنس من ذلك الشيء
نحو ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما وقد يذكر شيئان ويعاد الضمير
الى احدهما والغالب كونه للثاني نحو استعينوا بالصبر والصلاة وانها
لكبيرة وقد يثنى الضمير ويعود على احد المذكورين نحو يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان وقد يعود الضمير على ملابس ما هو له نحو الا عشية او ضحاها
اي ضحى يومها ومن سنن العرب ان تذكر جماعة او جماعة وواحدا ثم
تخبر عنهما بلفظ الاثنين نحو قوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا
ففتقناهما وتقع الضمائر بعضها موقع بعض كما تقول ما انا كانت فانت ضمير
مرفوع وقع فيه موقع المجرور ويجوز عدم المطابقة بين الضمير والمرجوع عليه
عند الامن من اللبس كقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونه فان الضمير في بطونه راجع الى الانعام والاصل في الضمير
عوده الى اقرب مذكور الا ان يكون مضافا اليه فالاصل حينئذ
عوده المضاف لانه المحدث عنه وقد يعود على المضاف اليه نحو كمثل الحمار
يحمل اسفارا وقد يبهم الضمير بحيث لا يعلم ما يعني به الا ما هو يتلوه
من بيانه كقولهم هي العرب تقول ما شاءت هي النفس ما حملتها تتحمل
وقيل في قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا وضع المضمر موضع المظهر
حذرا من التكرار والاصل ايضا توافق الضمائر حذرا التشتت وقد يخالف
بين الضمائر حذرا من التنافر وتفكيك الضمائر انما يكون مخلا بحسن
النظام اذا كان كل منهما راجعا الى غير ما يرجع اليه الباقي ويرجع
ما في الوسط منها الى غير ما يرجع اليه ما في الطرفين فلا بد من صون الكلام
الفصيح عنه واما التفكيك الذي لا يفضي اليه كما اذا رجع الاول والآخر
منها الى غير ما يرجع اليه الثاني كالذي وقع في آية الوصية وهو قوله تعالى
فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه فلا يكون فيه شيء
من الاخلال وقد نظمت فيه . اذا كان تفكيك الضمائر مفضيا . الى ما يخل النظم فابعد من الخلل
بان خالف الاطراف وسط بمرجع . كذا سابق منها بباق فقد اخل . وان اذا كان الخلاف لاول
بباق كذا للآخر اسمع فلا تخل . دليلك في حسن النظام وصية . الم تر ان الله قد بين العلل
وقد وضعوا مكان ضمير الواحد ضمير الجمع اشارة لمكانة المخاطب واظهارا لابهته
كما في مخاطبات الملوك والعظماء او تفخيما لما اولي من النعم كقوله علمنا منطق

الطير

الطير واوتينا من كل شيء او استرضاء لما حكم به نحو نحن قسمنا بينهم
معيشتهم او تنزيها عما لا يليق بالمتكلم نحو انا لا نضيع اجر من احسن
عملا او نحو ذلك وانظر الى اختلاف الضمائر في كلمات الخضر اردت
اردنا اراد ربك فانه لما ذكر العيب اضافه الى نفسه والرحمة الى الله وعند القتل
عظم نفسه تنبيها على انه من العظماء في علوم الحكمة والضمير المحتمل
للمعنيين وهو غير ملفوظ به لا يقال هو عليهما وانما يقال ذلك فيما هو
ملفوظ به وفيه احتمال المعنيين فيقال عمومه شامل للجميع واما ما ليس بمذكور
وهو ضمير ليس اللفظ عبارة منه فالحمل على العموم خطأ ولهذا نقول في
حديث انما الاعمال بالنيات انه يحتمل ان يراد به فضيلة العمل لا حكمه
وغير جائز ارادة الامرين جميعا اذ لا يجوز ان يكون لفظ واحد لنفي الاصل
ونفي الكمال واذا وقع قبل الجملة ضمير غائب فان كان مذكرا يسمى ضمير الشان
نحو هو زيد منطلق وان كان مؤنثا يسمى ضمير القصة ويعود الى ما
في الذهن من شان او قصة اي الشان او القصة امر مبهم لا يتعين الا
لخصوصية يعبر هو فيها ويتحد هو مع مضمونها في التحقيق فيكون ضمير
الشان او القصة متحدا مع مضمون الجملة التي بعدها ولهذا لا يحتاج
في تلك الجملة الى العائد الى المبتدا ويختار تانيثه اذا كان فيه مؤنث
غير فضلة نحو هي هند مليحة وانها لا تعمى الابصار لقصد المطابقة
لا لرجوعه اليه وضمير الشان لا يحتاج الى ظاهر يعود اليه بخلاف
ضمير الغائب وضمير الشان لا يعطف عليه ولهذا كون الضمير في قوله تعالى
انه يراكم للشيطان اولى من الشان يؤيده قراءة وقبيله بالنصب ولا يؤكد
ضمير الشان ولا يبدل منه لان المقصود منه الابهام وكل منهما
للايضاح بخلاف غيره من الضمائر ولا يفسر الا بجملة ولا يحذف الا قليلا
ولا يجوز حذف جزء ولا يتقدم خبره عليه ولا يخبر عنه بالذي ويستمر
حذفه مع ان المفتوحة ولا يجوز تثنيته ولا جمعه ويكون لمفسره محل من
الاعراب بخلاف سائر المفسرات ولا تستعمل الا في امر يراد منه التعظيم
والتفخيم ولا يجوز اظهار ضمير الشان والقصة وقد نظمت فيه .
ولا تنسنا الواعا تهوى القلب شانه . واظهار شاني لا يجوز كقصتي وانما
سمي ضمير الشان لانه لا يدخل الا على جملة عظيمة الشان نحو قل هو الله احد
فان احديته جليل عظيم والضمير المنصوب لا يؤكد الا بالمنفصل المنصوب
بخلاف البدل واذا جعلت الضمير تاكيدا هو بان على تسميته فتحكم على موضعه
باعراب ما قبله وليس كذلك اذا كان فصلا واذا ابدلت من منصوب اتيت

Copyright King Saud University